

روح المعاني

التاء جمع مفتاح وقرأ قتادة وهارون عن أبي عمرو مفتاحه بالإفراد وهو آلة الفتح وكذا المفتاح كما في القاموس وقال الراغب : المفتاح والمفتاح ما يفتح به وجمعه مفاتيح ومفتاح وفي بعض الكتب أن جمع مفتاح مفاتيح وجمع مفتاح مفاتيح أو صديقكم أي أو بيوت صديقكم وهو من يصدق في مودتك وتصدق في مودته يقع على الواحد والجمع والمراد به هنا الجمع وقيل : المفرد وسر التعبير به دون أصدقاؤكم الإشارة إلى قلة الأصدقاء حتى قيل : صاد الصديق وكاف الكيمياء معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا ونقل عن هشام بن عبد الملك أنه قال : نلت ما نلت حتى الخلافة وأعوزني صديق لا أحتشم منه وقيل : إنه إشارة إلى أن شأن الصداقة رفع الأثنية ورفع الحرج في الأكل من بيت الصديق لأنه أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من ذوي القرابة روي عن ابن عباي رضي الله تعالى عنهما الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنمي لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات فقالوا : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم . وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه من عظم حرمة الصديق أن جعله الله تعالى من الأنس والثقة ووالإنبساط ورفع الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ وقيل لأفلاطون من أحب إليك أخوك أم صديقك فقال : لا أحب أخي إلا إذا كان صديقي وقد كان السلف ينبسطون بأكل أصدقاؤهم من بيوتهم ولو كانوا غيبا .

ويحكى عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهلك أساوير وجهه سرورا وضحك وقال : وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدرين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاه فأخبرته أعتقها سرورا بذلك وهذا شيء قد كان .

إذا الناس ناس والزمان زمان .

وأما اليوم فقد طوى فيما أعلم بساطه واضمحل والأمر الله تعالى فسطاطه وعفت آثاره وأفلت أقماره وصار الصديق اسما للعدو الذي يخفي عداوته وينتظر لك حرب الزمان وغارته فأه ثم آه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد ثم إن نفي الحرج في الأكل المذكور مشروط بما إذا علم الأكل رضا صاحب المال بإذن صريح أو قرينة ولا يرد أنه إذا وجد الرضا جاز الأكل من مال الأجنبي والعدو أيضا فلا يكون للتخصيص وجه لأن تخصيص هؤلاء لاعتیاد التبسط بينهم فلا مفهوم له وقال أبو مسلم : هذا في الأقارب الكفرة أباح سبحانه في هذه

الآية ما حظره في قوله سبحانه : لا تجد قوما يؤمنون بالـ واليوم الآخر يوادون من حاد الـ
ورسوله وليس بشيء وقيل : كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ بقوله صلى الـ عليه وسلّم : لا يحل
مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه وقوله E من حديث ابن عمر رضي الـ تعالى عنهما لا يحلبن
أحد ماشية أحد إلا بإذنه وقوله تعالى : لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية
وقوله D : لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه فإنهم منعوا
من منزله A إلا بالشرط المذكور وهو E أكرم الناس وأقلهم حجابا فغيره صلى الـ تعالى عليه
وسلم يعلم بالطريق الأولى